الفصل الثانى

الاحلام والثقافة

أولا : تأثير الثقافة على الاحلام

الملاحظ أن الاحلام شأنها شـــأن أنواع السلوك الانسانى الاخرى تتصف بقدر من التأثر بالنمط الثقافى السائد فى المجتمع والتشكل وفقا له • على أن الجدير بالنظر أن الضبط الذاتى الواعى وكذلك القيـــود والضوابط الخارجية ــ وهما أبرز عوامل الامتثال للمعايير الثقافية ــ يكاد ينعدم وجودهما فى الاحلام • ولذلك فان التنميط الثقافى للاحلام (أو قل تأثر الاحلام بالنمط الثقافى السائد) لابد وأنه يصدر عن أعماق الفرد نفسه ، وليس صادرا عن التقليد الواعى لنموذج ثقافى موجود ، أو عن التأثر بالقيود التى تفرضها النظم الثقافية • وهنا تكمن دلالة الاهمية الكبرى لدراسة الاحلام من وجهة النظر الانثروبولوجية الثقافية ، اذ أن تأثر الاحلام بالنمط الثقافى السائد يساهم فى القاء الضوء على تلك المعايير الثقافية التى تتميز بأقصى قدر من التغلغل فى أعماق أبناء تلك الثقافة(١)•

ولعل أبسط وأوضح سبل تأثير الثقافة على الاحلام هو التأثير على المضمون الظاهرى للحلم • اذ لاشك أن الشخص الذى لم ير طائرة فى حياته من المستحيل أن يرى طائرة فى الحلم • ومع ذلك فان أندريد يؤكد أن هناك من الشواهد ما يوضح أن الاحلام ليست انعكاسا أو تصويرا دقيقا لكل جزئية من جزئيات ذلك الجانب من جوانب الثقافة الذى يخبره

---

(١) اعتمدنا على المقال التالى :

D' Andrade; The Effect of Culture on Dreams; in; Dreams and Dreaming; .

انظر قائمة المراجع الافرنجية فى نهاية الكتاب .

الفرد ويتعامل فيه فى حياة اليقظة • انما المؤكد أن الحلم يمثل صورة منتقاه لبعض جوانب العالم الثقافى للرائى •

ونحن يمكن أن نصنف الاحلام — من هذه الناحية — الى نوعين رئيسيين : النوع الاول يكاد يكون خاليا تماما من أى عناصر ثقافية أيا كانت • وتكون هذه الاحلام فى الغالب عبارة عن أحلام رمزية تضم عمليات الطيران ، وايذاء الجسم أو تحطيم عضو من أعضائه ، والمناظر الطبيعية ، والحيوانات ، وما الى ذلك • ولعل افتقار مثل هذه الاحلام الى العناصر الثقافية يرجع الى صعوبة ترجمة الصور المشاهدة فى الاحـلام الى كلمات ، ومن ثم ترجمتها الى لغة مؤلفى كتب الاثنوجرافيا • ويؤكد أندريد أن حوالى خمس عدد الاحلام التى درسها من ثقافات غير غربية تفتقر الى أى مواد ثقافية متميزة فى مضمونها الظاهر ، ولو أن هذا الحكم يتفاوت — بشكل نسبى — من ثقافة لاخرى •

ثم هناك — ثانيا — بعض مجالات الحياة الثقافية التى يتكرر ظهورها أكثر مما عداها فى المضمون الظاهرى للاحلام • ومن الطبيعى فى هذه الاحوال أن نجد بعض المجالات الثقافية التى تتردد فى الاحلام بمعدل أقل من دورها الحقيقى فى حياة اليقظة •

وقد لاحظ كالفن هول على هذه الناحية فى الولايات المتحدة مثلا الحقائق التالية : « فنجد أن الاحلام لا تتضمن سوى قليلا من الافكار ذات الطبيعة السياسية أو الاقتصادية • وتكاد تكون عديمة الصلة تماما بالاحداث الجارية على المسرح السياسى العام • وقد كنت أسجل أحلام الطلاب يوميا أثناء الايام الاخيرة من الحرب مع اليابان ، حينما ألقت أمريكا أول قنبلة ذرية فى التاريخ • ومع ذلك فان هذا الحدث التاريخى المؤثر لم يرد له أى ذكر فى أى حلم من الاحلام التى كنت أسجلها • ومن الامور التى تجاهلتها الاحلام تجاهلا يكاد يكون تاما طائفة أخرى كبيرة من الاحداث الهامة كانتخابات الرئاسة الامريكية ، واعلان الحرب ، والصراع

الديبلوماسى بين القوى الكبرى ، ومباريات الالعاب الرياضية الكبرى وغير ذلك من الاحداث التى تشغل الصفحات الاولى من الصحف وتمثل موضوعات الحديث التى تشغل الناس فى أحاديثهم اليومية •

ولعل هذا يدعو البعض الى التساؤل : اذن ما هى الموضوعات التى تدور حولها الاحلام ؟ يمكن القول بأن عالم الاشياء الشخصية الحميمة والعاطفية هو الذى يمثل بيئة الاحلام المختلفة ، وكذلك الامور الخلافية التى تمثل محور صراعات بين الفرد والمحيطين به • تلك هى المادة الخام التى تنسج منها الاحلام عادة »(٢) •

أما اذا نظرنا من الناحية العاطفية فاننا نجد أن مضمون الاحلام ينطوى على أحاسيس سلبية أكثر من تلك التى يعرفها الفرد فى حياة اليقظة • وقد توصل هول فى دراسة حلل فيها مضمون عينة كبيرة من الاحلام فى البلاد الغربية ، توصل الى أن ٤٠٪ من العواطف الواردة فى الاحلام يمكن وصفها بأنها أحاسيس خشية وتخوف ، و ١٨٪ منها غضب ، و ٦٪ حزن • وهناك ١٨٪ أخرى من العواطف الواردة فى الاحلام يمكن وصفها بأنها أحاسيس قلق ودهشة محايدة ، على حين أن أحاسيس السعادة لا تتجاوز ١٨٪ فقط من تلك العواطف • والملاحظ على تلك العينة أن حوالى نصف عدد الافراد الذين كان يراهم الشخص فى الحلم كانوا أغرابا عنه ، على حين أن ٢٠٪ من الاشخاص الذين كان يراهم الرائى كانوا من أفـراد أسرته • ومن بين هؤلاء كانت الام تمثل ٣٤٪ من الشخصيات ، والاب ٢٧٪ ، والاخوة ١٤٪ ، والاخوات ١٢٪(٣) •

---

(2) Hall; Calvin S; The Meaning of Dreams; Harper and Row; New York; 1953; pp. 11-12; Quoted by D' Andrade; The Effect of Culture on Dreams; op. cit; pp. 198-199.

(3) Hall; Calvin S; «What people dream about»; in : Scientific American; Vol. 184; pp. 60-63; quoted by D' Andrade; op. cit; p. 199.

كما أن المضمون الظاهرى للاحلام يمكن كذلك أن يعكس نوع الرائى (ذكرا أو أنثى) • فقد وجد هول فى دراساته أن الرجال فى الثقافة الغربية يحلمون بالذكور ضعف معدل أحلامهم بالاناث ، على حين وجد أن النساء يحلمن بالرجال بنفس معدل رؤيتهن للنساء • وقد اكتشف « لى » Lee فى دراسته للاحلام عند الزولو(٥) أن هناك فروقا بارزة بين المضامين الظاهرية لاحلام الرجال وأحلام النساء • فالنساء يحلمن أكثر بالاطفال الصغار ، بينما يحلم الرجال أكثر بالحرب وبالماشية • وتعكس هذه الفروق تقسيم العمل التقليدى الموجود فى ذلك المجتمع ، على الرغم من أن الفصل التقليدى بين أنشطة الرجال والنساء كان قد بدأ ينهار فى وقت اجراء « لى » لتلك الدراسة • ويفسر « لى » هذه النتيجة بفرض مؤداه أن مضمون الاحلام ينغرس فى نفس الشخص خلال سنى الحياة الاولى • ولعل هذا الفرض يفسر الملاحظة التى أوردها هول وسجلناها من قبل ومؤداها عدم انشغال الاحلام بالاحداث السياسية والاقتصادية •

وقد قدم ديفيرو Devereux فرضا مشابها عن وجود علاقة بين مضمون الاحلام وخبرات الطفولة عند أحد أبناء الهنود الحمر سكان منطقة السهول فى العلاج النفسى • وكانت عناصر الثقافة الاصلية التى ظهرت فى أحلام هذا المريض هى تلك العناصر « التى تعكس أكثر مما عداها وأوضح من غيرها أرفع القيم التقليدية فى ثقافة ذلك المريض ، وبالتالى أقل العناصر الثقافية حظا من الرشد والمعقولية كالعناصر الطبية الشعبية والسحرية وما شابه ذلك »(٦) • وقد أخذت تلك العناصر الثقافية تظهر بتكرار أكبر فى أحلام المريض عندما بدأ يحلل ما ضيه الخاص •

---

(٤) انظر كالفن هول ، المرجع السابق .

(5) Lee; S.G.M. «Social influences in Zulu dreaming»; in : Journal of Social Psychology; Vol. 47; pp. 265-83; quoted by D; Andrade; op. cit.

(6) Devereux; g; Reality and Dream; International Uuiversities Press; 1951; p. 100.

كما اتضح أن الاحلام التى تنطوى على عديد من العناصر الثقافية المحلية كانت فى الغالب هى أوضح أحلامه دلالة وأكثرها كشفا عن نفسيته •

ويفسر ديفيرو ضآلة حجم عناصر المضمون الظاهرى المأخوذة من الواقع الراهن للمريض بأن مثل هذه الاحلام انما تعكس ميكانيزمات دفاعية تكونت على مدى حياة الفرد ، وزرعت بذورها فى فترة الطفولة المبكرة • يضاف الى هذه الحقيقة اعتبار آخر وهو أن أبناء هنود السهول يتلقون المرحلة الاولى من تربيتهم على يد جيل الاجداد ، الذين يجسدون العناصر الثقافية الاكثر تقليدية•

واكتشف هولمبرج فى دراسته لشعب السيريونو Siriono أن المضمون الظاهرى للاحلام يرتبط بواحد أو آخر من أبرز ملامح حياة السيريونو • ولما كان السيريونو شعبا يعيش على الصيد والالتقاط فى حوض الامازون الداخلى ، فقد كانوا يعانون فى أغلب أيامهم — ان لم يكن دائما — من الجوع ، كما كانوا ينفقون الجانب الاكبر من وقتهم فى بحث مرير عن الطعام • وهكذا وجد هولمبرج أن أكثر من نصف عينة من حوالى خمسين حلما كانت تدور حول تناول الطعام ، وعمليات الصيد وجمع النباتات القابلة للاكل من الغابة • ومن أكثر الاحلام شيوعا عندهم أن يحلم الشخص أن هناك قريبا له قد خرج للصيد وصادف حظا طيبا فيه ، وعاد الى الرائى بصيد(٧) • ووجد هولمبرج كذلك أن « من الملاحظات المثيرة فى هذا الصدد أن الاحلام الدائرة حول الطعام يغلب أن يراها الشخص فى أوقات شبعه وليس فى وقت احساسه بالجوع »(٨) • ويقودنا هذا الى أن نستنتج أن الطعام قد أصبح يرمز الى عدد من الاشياء فى نظر السيريونو ، علاوة على خصائصه المعروفة فى تسكين ألم الجوع •

---

(7) Holmberg; A.R; «Nomads of the long bow : the Siriono of Eastern Bolivia»; Institut of Social Anthropology Publications; No. 10; 1950; p. 91.

(٨) هولمبرج ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

تلك طائفة من الدراسات التى أوضحت بجلاء كيف أن الاحلام تقدم فى العادة صورة مختارة ومعدلة لثقافة الرائى • وهناك عدا هذا دراسة منهجية ضافية أجراها شنايدر وشارب عن العلاقة بين الاحلام والثقافة عند شعب اليريورونت Yir-yoront • وكان شارب قد قام بتسجيل الاحلام وتدوينها ، وقام شنايدر بتحليلها • وبدأ شنايدر تحليله بفرض مؤداه أن الاحلام تصور وجهة نظر الرائى الى العالم (أو قل بلغة علماء النفس الاجتماعى « تعريفه للموقف ») وأن الثقافة ــ كنسق من المعايير ــ تؤثر على تعريف الموقف ولكنها ليست متطابقة معه كلية •

ولتحليل العلاقة بين الاحلام والثقافة عند شعب اليريورونت قام شنايدر بتحليل المضمون الظاهرى لـ ١٤٩ حلما جمعت من واحد وخمسين مبحوثا من أبناء ذلك الشعب ، منهم ٤٣ رجلا وثمانى نساء(٩) • وقد درس شنايدر أربعة مواقف تصورها تلك الاحلام هى : أحلام فيها جنس ، وعدوان ، وموت ، واتصال مع ثقافة البيض • ولم تكشف الاحلام عن وجود قواعد معينة فى تلك المجالات من مجالات السلوك • وكان هناك تسعة عشر حلما تتضمن مادة صريحة عن علاقات جنسية ، كلها مأخوذة من رجال • وكان الطرف الاخر فى تلك العلاقة الجنسية فى أكثر من نصف تلك الاحلام من فئة القرابة المناسبة أى التى يحق للشخص أن يتزوج منها ، (وهى بنات الخال) ، وكان الطرف الثانى فى حالة واحدة هو زوجة الشخص الفعلية •

ولعل أهم النتائج التى نخرج بها من استعراض الاحلام الدائرة حول العلاقات الجنسية أنه عندما يكون طرف العلاقة الجنسية الاخر من فئات القرابة المحرم الاتصال بها ، ولم يستطع الرائى أن يكيف نفسه مع هذه الحقيقة فى عالم اليقظة ، نجد أن الرجل يرى فى منامه : أولا

---

(9) Schneider; D.M; and Sharp; R.L; «Yir-Yiront dreams»; Unpublished (no date); quoted by D' Andrade; op. cit; pp. 200-201.

انقطاعا أو توقفا قبل أو أثناء عملية الجماع يتصوره راجعا الى خلل عضوى فى الاعضاء الجنسية للمرأة أو الى رفض صريح لغرض الرجل فى الحلم ولكن دون أن يؤدى هذا الرفض الى انهاء العلاقة • والملاحظ كذلك ثانيا أن حجم هذا التوقف أو الانقطاع يرتبط بقوة الحظر المفروض على العلاقات الجنسية • فوجد شنايدر أن القريبة المقربة لا تبدأ عملية الاتصال معها أصلا فى الحلم ، ومع قريبة أبعد يكتمل الاتصال ولكنه بصعوبة ، ومع قريبة أبعد يقتصر الامر على مجرد رفض كلامى للرجل من جانب المرأة(١٠) •

ومن النتائج الهامة الاخرى تلك المواقف المنطوية على التعبير عن العدوان • حيث اتضح فى أحلام اليريورونت أن كلا من الخال والاخ الاكبر كثيرا ما يمارسون عدوانا على الرائى • ويختلف هذا الموقف اختلافا تاما عما يحدث فى الواقع الفعلى ، حيث يقدم الفرد هدايا دائما الى خاله ويبدى نحوه الاحترام الكامل ، كما يعامل أخاه الاكبر باحترام وأدب •

كذلك تتميز الاحلام التى تنطوى على حالات موت ببعض الانماط المثيرة • فعلى الرغم من أن الثقافة المحلية لا تعتقد فى البعث بعد الموت ، فاننا نجد فى معظم الاحلام التى يرى فيها الشخص أنه قد مات ، نجده « يبعث » أو يعود الى الحياة من جديد • ولكن العجيب أنه فى الاحلام التى يرى فيها الشخص أحدا آخر قد مات ، فان ذلك الميت لا يعود الى الحياة مرة أخرى فى الغالبية الغالبة من الحالات •

ويرى أندريد أن مثل هذه النتائج المثيرة تطرح بعض التساؤلات الهامة عن العلاقة بين بعض الظواهر الخيالية الوهمية ــ كالاحلام ــ

---

(١٠) انظر الفصل الخامس من دراسة شنايدر وشارب التى سبقت الاشارة اليها ، ص ص ٢ ــ ٣ ، نقلا عن اندريد ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

وبين الخبرات الواقعية للفرد • انه يبدو من المؤكد أن معظم التحليلات والاوهام — بما فيها الاحلام — تمثل الى حد ما « انعكاسا » لخبرات الفرد و « تعريفه للموقف » • والمألوف بالطبع أن تكون هذه المادة المنعكسة فى الحلم مختارة ومعدلة تبعا لمصالح الشخص الرائى وميوله واهتماماته • فقد لاحظنا من قبل — على سبيل المثال — أن الامور الشخصية والخاصة تظهر فى أحلام الامريكيين أكثر من الامور السياسية والعامة •

على أن عملية الاختيار والتحوير فى هذه الخيالات تؤدى بالضرورة الى عملية تشويه قد يكون عنيفا وبعيد المدى كما فى الحالات الواضحة التى تنطوى على تحقيق أمنية أو رغبة معينة لدى الرائى • فيرى شنايدر وشارب على سبيل المثال أن الملاحظة التى ظهرت فى أحلام اليريورونت من أن الطرف الثانى فى العملية الجنسية تكون دائما امرأة غير الزوجة الفعلية انما هو تعبير عن تحقيق رغبة أو أمنية لدى الرائى ، كما أنه يعد فى نفس الوقت جزءا من تعريف الفرد للموقف •

كذلك يعد الاسقاط أحد أنواع التشويه الحادة للواقع فى الاحلام• من هذا أن ميل اليريورونت الى تصوير الخال والاخ بصورة عدوانية فى الاحلام انما يلائم بمنتهى الوضوح تعريف الاسقاط • غير أن هناك أنواعا أخرى من الاحلام التى يمكن أن تنطوى على عمليات اسقاط ولكنها أقل وضوحا من المثال السابق لسبب هام وهو أن الخبرات الواقعية للفرد ليست معروفة لنا بنفس الوضوح والتأكيد • من هذا مثلا أن تصوير الرائى للمرأة باعتبارها مصدر الانقطاع أو التوقف فى العلاقة الجنسية فى الحلم انما هو اسقاط بحت ، أو أنه ليس سوى تصوير أمين لما يحدث فى الواقع بالفعل • فاذا صح فرض الاسقاط أمكننا فهم بعض الاشارات التى تبدو غامضة فى الاحلام والتى ترى سقوط البظر فى أحد الاحلام ، والصور الاخرى للمرأة التى أتلفت أعضاءها التناسلية ••• الخ • اذ يعنى هذا فى الواقع الفعلى أن الاعضاء التناسلية للرجل

هى التى أصيبت بالضرر أو تعرضت لبعض الاصابات بالفعل ، أو أنه يخشى أن يصاب بضرر اذا مارس الاتصال مع امرأة ممن تحرم الثقافة المحلية الاتصال بها • فهذه الامور تعريف الرائى للموقف فى الواقع الفعلى ، حتى وان بدا القلق جنسيا فى مصدره •

ثم هناك نوع آخر أكثر احكاما من تشويه الواقع فى الاحلام يتمثل فى اصطناع الرمز • من هذا مثلا أن أحلام البعث عند اليريورونت يمكن أن تكون عبارة عن أحلام رمزية لتكرار أو اعادة الاتصال الجنسى من جديد ، حيث يموت القضيب ، ثم يولد من جديد •

فان صح هذا الفرض ، فان ذلك قد يساعدنا على تفسير السبب فى أن أحلام الموت تفتقر الى التأثير القوى ، والسبب فى أن البعث يحدث فى الاحلام ولكن ليس كموضوع من موضوعات المعتقدات الثقافية • والخلاصة على أى حال أن العلاقة بين الثقافة والخبرات الفردية وأحلام البعث علاقة مركبة ومتعددة الابعاد متنوعة الظلال •

ونوجز الملاحظات السابقة بالقول بأن العلاقة ليست بسيطة بين الثقافة والمضمون الظاهرى للاحلام • ويبدو أن هذا يرجع الى أن الحلم ليس عملية معرفية خالصة، تتجمع فيها الاشياء التى سبق ادراكها وتتبلور وتسترجع فى الذهن مرة أخرى • وانما الحكم كما أثبتنا بوضوح عبارة عن صورة منتقاة ومعدلة — بل وأحيانا مشوهة — لخبرات الفرد الواقعية • ويفسر هذا الاختيار وهذا التشويه عادة بأنه نتيجة الدافعية عند الفرد — كما أنه يرجع الى نمط العملية العقلية الخاصة التى تتم فى أثناء الحلم • ولذلك يمكن القول بأن النماذج المختلفة للاختيار فى مضمون الاحلام والتى أشرنا اليها من قبل (وهى كثرة ورود الطعام فى أحلام شعب السيريونو ، والفروق بين الجنسين فى أحلام الزولو ، وميل هنود السهول الى الحلم بالجوانب غير العقلية من ثقافاتهم الاصلية تحت تأثير عملية التثقف ، والنتيجة التى انتهى اليها هول من أن الامريكيين يحلمون بالمسائل

الشخصية والخاصة أكثر من الامور الاقتصادية والسياسية) ، أقول لذلك يمكن اعتبار تلك النماذج للاختيار انما هى نتيجة احتياجات معينة لدى أبناء تلك المجتمعات • أما عمليات تشويه الواقع الحادة فى الاحلام فيبدو أنها ترجع الى ظواهر الصراع • فاسقاط العداوة على الخال عند شعب اليريورونت ربما يمثل هذا اللون من الصراع • ولعل الصراع فى هذه الحالة قائم بين المشاعر العدوانية والخوف من احتمالات الثأر •

أما الاحلام المعبرة عن النمط الثقافى السائد فهى بحق الاحلام التى توضح بشكل أكثر مباشرة تأثير الثقافة على الاحلام(١١) • فهذا النوع من الاحلام تحدد الثقافة ملامحه ، وتكافىء صاحبه عليه • وهو يضم فى الغالب بعض الكائنات فوق الطبيعية أو الظواهر فوق الطبيعية ، ويعتبر لذلك « رؤى » وليس أحلاما • فنجد على سبيل المثال أن شعب الكرو Crow (من الهنود الحمر) يهتم أكبر الاهتمام بالاحلام المرتبطة بالنمط الثقافى والمعبرة عنه • بل ان النجاح والتقدم فى الحياة يتوقف على هذه الرؤى • وقد لاحظ لوى أنه لم يستطع أن يظفر أبدا برواية مفصلة لحلم عادى ، لان اخباريه كانوا يروون رؤى وليس أحلاما(١٢) •

والملاحظ دائما أن الاحلام المعبرة عن النمط الثقافى والتى تنتمى الى هذا النوع الذى نتحدث عنه تنطوى على مرحلة تحضيرية يتهيأ فيها الفرد للحلم بالصوم ، والعزلة ، وربما بتر جزء من أجزاء الجسم • ثم تعقبه

---

(١١) يعتمد أندريد فى هذا الحكم على دراسة لنكولن عن الاحلام فى الثقافات البدائية :

Lincoln; J.S; The Dream in Primitive Cultures; Cresset Press; 1935; p. 189.

انظر اندريد ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠٣ — ٢٠٤ •

(12) Lowie; R.H; «The Religion of the Crow Indians»; in : Anthropological Papers of American Museum of Natural History; Vol. 25; pp. 309-444; Quoted by D' Andrade; op. cit; p. 203.

فى العادة حالة من الهلوسة تقوم فيها احدى القوى الروحانية ــ فى شكل انسان طبعا ــ بتبنى الرائى ورعايته فى تلك الفترة ، وامداده ببعض التوجيهات والنصائح فيما يتعلق باستخدام القوى فوق الطبيعية •

ولعله يبدو من الامور القريبة الاحتمال أن الافراد قد يعمدون الى تزييف مثل هذه الخبرات من أجل الحصول على الشرف وعلى الثروة ، ومع ذلك فان « لوى » يؤكد أن مثل هذا التزييف لا يحدث فى الواقع • اذ أننا نجد فى الممارسة الواقعية أن هناك بعض الافراد الذين يخفقون كلية فى التوصل الى أى رؤية • كما أن هناك البعض أيضا الذين يعتقدون أنهم قد حصلوا على كشف حقيقى ، ولكنهم يتبنون فيما بعد ــ من خلال اختبار القوى المفروض أنهم قد اكتسبوها ــ أنهم قد خدعوا فى رؤياهم ، وأنهم لم يشاهدوا كشفا حقيقيا(١٣) •

ومع ذلك فسيظل من الامور الغامضة التى تحتاج الى مزيد من المناقشة والى اجتهادات المزيد من الباحثين معرفة درجة تأثر مضمون الحلم فى الحالات التى يعتقد فيها الفرد أنه قد رأى رؤية من تلك الممثلة للنمط الثقافى الشائع ، وأعنى تأثره بعمليات المراجعة والاضافة والتعديل فيما بعد ، حيث نعلم أن الرائى يكيف خبرته تلك مع نموذج معين أو بعض النماذج الموجودة من قبل فى ثقافته • ويرى البعض أن هناك حالات معينة يتضح فيها هذا التعديل والتكييف من جانب الرائى بشكل واضح كل الوضوح • وهناك بالفعل بعض الشواهد التى أوردتها Erika Bourguigon من دراستها للاحلام فى هايتى ، والتى تدل على تكييف وتطويع الاحلام فى بعض الحالات للنمط الثقافى السائد • وتضرب المثل على ذلك برؤية بعض الكائنات فوق الطبيعية فى الحلم • حيث يشير الرائى الى أنه قد رأى هذه الشخصية أو تلك من الكائنات فوق الطبيعية •

---

(13) Cf. Lowie; R.H; Primitive Religion; Liveright; 1924 (reprinted 1948); pp. 8-14. Quoted by D' Andrade; op. cit.

وعندما يضيق الباحث عليه الخناق بالاسئلة تجده يعطى الاوصاف الشائعة فى الثقافة المحلية لتلك الشخصية فـوق الطبيعية • ويؤكد أندريد أن النتائج التى انتهت اليها تلك الباحثة ، استنادا الى دراساتها فى هايتى ، قد تنسحب بنفس الدرجة على مجتمعات أخرى توجد فيها الاحلام الممثلة للنمط الثقافى السائد(١٤) •

وقد تناول كل من رادين وكينج بالدراسة تأثير عملية التثقف من الخارج على الاحلام الممثلة للنمط الثقافى • وقد قدم رادين بعض الشواهد على أن قبائل أوتاوا Ottawo والاجيبوا (الهنود الحمر الامريكيين) لم يعـودوا يرون الاحلام الممثلة للنمط الثقافى ، وبدأت أحلامهم تقتصر فى مضمونها على المشكلات الشخصية • وأن ذلك ليس سوى نتيجة لعملية التثقف من الخـارج أى تأثرهم بثقافة الامريكيين البيض(١٥) •

ولكننا نجد من ناحية أخرى كينج يقدم الدليل على حالة معاكسة ، أى حالة هضم بعض قبائل الهنود الحمر فى أحلامهم الممثلة للنمط الثقافى لبعض عناصر الثقافة الغربية البيضاء • ويشير كينج فى هذا الصدد الى هنود جبل مايدو Maidu (الذن ينتمون الى أب أبيض) الذين يعـرفون مجمـوعة من الاحـلام الممثلة للنمط الثقافى مندمجـا فيهـا بعض عناصر الثقـافة الغربية(١٦) • ففى هذه المجمـوعة من الاحلام كان الرائى يستطيع دفع الهجمات السحرية لبعض السـحرة المؤذيين باستخدام بعض أنواع القوى السحرية الهندية والبيضاء •

---

(١٤) انظر دراستها التالية :

Bourguigon; Erika E; «Dreams and dream interpretarion in Haiti»; 56; pp. 262-8.

(15) Radin P; «Ojibwa and Ottawa puberty dreams»; in : Essays Presented to A.L. Kroeber; University of California Press; 1936.

(16) King; A.R; «The Dream biography of a mountain Maidu»; Char. Personality; Vol. 11; pp. 227-34.

وتبين كينج مدى التكيف الكبير لهذا الرجل الهندى مع الثقافة الغربية فى هذا النوع من الاحلام • بل انه يذهب الى أبعد من هذا اذ يرى أنه من الممكن استخدام الاحلام بشكل مفيد فى دراسة التكيف النفسى للفرد فى أثناء عملية التثقف من الخارج •

كذلك يبدو أن المعتقدات والنظريات الثقافية عن الاحلام تؤثر هى الاخرى على مضمون الاحلام وعلى الاستجابات العاطفية للاحلام • ومن الامثلة التى كثيرا ما يشار اليها لتأثير نظريات الاحلام على هذا النحو ذلك الفرق بين شعب التيكوبيا وسكان جزر التروبرياند فى استجاباتهم العاطفية لاحلام الزنا بالمحارم(١٧) • اذ يعتقد أبناء شعب التيكوبيا أن الاحلام التى يرى فيها الفرد نفسه يزنى بالمحارم انما تتسبب فيها بعض الارواح الشريرة التى تتخذ هيئة الاقارب وتغرى الرائى بارتكاب الفاحشة معهم • أما سكان جزر التروبرياند — من ناحية أخرى — فهم أكثر ايمانا بواقعية الاحلام التى يرونها • ولذلك نجد أن استجاباتهم لاحلام الزنا بالمحارم تنطوى على الخجل الشديد والاحساس بالذنب • ومع أن استجابة أبناء التيكوبيا لا تنطوى على الخجل الشديد والاحساس بالذنب ، الا أنهم لا يتجاهلون مع ذلك تجاهلا تاما النتائج المترتبة على مثل هذه الاحلام • اذ يعتقد أبناء التيكوبيا أن الاتصال الجنسى فى الحلم هو اتصال جنسى مع روح من الارواح ، وهم يعتقدون فى الوقت نفسه أن الاتصال مع الارواح يؤدى الى فقدان الفرد حيويته والى اصابته بالمرض • ولهذا يمكن القول بوجه عام بأن نظرية الاحلام عند التيكوبيا تفرض تحريما على الاتصال الجنسى كهدف للحلم ، بينما تنطوى نظرية الاحلام عند سكان جزر التروبرياند على تحريم بعض الاشياء الجنسية المعينة وحسب ، وهو

---

17) Firth; R; «The meaning of dreams in Tikopia»; in : E.E. Evans-Pritchard et. al. (eds.); Essays Presented to C.G. Seligman; Kegan; Paul; Trench; Trubner; 1934; pp. 63-74.

فرق يتفق مع الفرق الموجود فى السمات الشخصية المميزة لابناء هذين المجتمعين •

وهناك تأثير أكثر دقة لنظريات الاحلام على أحلام الافراد يرجع الفضل فى ابرازه الى ديفيرو • فقد أوضح أنه حيث يضفى المجتمع على الاحلام بعض أنواع الموضوعية نجد أن أحلام الافراد تبدو أقرب الى التعبير عن ظروف الرائى • ونجد فى مثل هذه الثقافات أن أحداث الاحلام تبدو أكثر شبها بأحداث الحياة الواقعية ، وأكثر نفعا للفرد ، الذى يتجه الى استخدام أحلامه تلك لتخطيط أنشطة جديدة ، ويحاول بواسطتها أن يعيد صياغة بعض الخبرات القديمة والاليمة بحيث تندمج فى حياته بشكل مفيد(١٨) •

وقد أشار هالويل الى نموذج آخر من آثار نظرية الاحلام على الاحلام ، حيث وجد أنه حيث تعد الاحلام فى نظر أبناء الثقافة خبرات واقعية للرائى ــ كما هو الحال عند شعب الاوجيبوا ــ تعد الذات قادرة على القيام بأنشطة شبيهة بتلك التى ترى فى الاحلام كالتحول الجسمى (تحول هيئة الفرد من انسان الى كائن آخر) ، وانفصال الروح عن الجسد ، والقدرة على الرجوع الى زمن عابر أو الانتقال الى زمن قادم • ويترتب على هذا التصور الذاتى وعلى هذا القدر من تكامل الاحلام مع خبرات عالم اليقظة أن تصبح « البيئة السلوكية » ذات خصائص مختلفة اختلافا جذريا عن « البيئة المادية » الواقعية القائمة(١٩) •

ويمكن تلخيص نتائج البحوث المتعلقة بالاحلام الممثلة للنمط الثقافى

---

(18) Devereux; G; Reality and Dream; International Universities Press; New York; 1951; p. 87.

(19) Hallowell; A.I; «The self and its behavioral environment»; in : Culture and Experience; University of Pennsylvania Press; 1955; pp. 172-82.

على النحـــو التالى : على حين أنه من الممكن لبعض الافراد أن يروا الاحلام التى يودون رؤيتها ، الا أن هذا ليس بالامر الهين دائما ، بل هو مستحيل بالنسبة لبعض الافراد أحيانا • وسوف نتناول بالمناقشـــة فيما يلى بعض النتائج والدلالات المترتبة على هذا الموقف •

أما فيما يتعلق بطرق تأثير الابنية المعرفية الثقافية على الاحلام فتشير النتائج التى توصل اليها فيرث ، وديفيرو ، وهالويل أن نظريات الاحلام المحلية تلعب دورا واضحا فى ترويض خيال الفرد ، وجعله أقرب الى حياة اليقظة ، وكذلك أيضا جعل حياة اليقظة أقرب الى خيـــال الاحلام(٢٠) •

---

(٢٠) انظر أندريد ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

ثانيا ــ الاستخدامات الثقافية للاحلام :

يتضمن التراث الاثنوجرافى المدون عن الاحلام الكثير من المعتقدات والممارسات • وتتعلق هذه المعتقدات والممارسات بجوانب مختلفة من الثقافة • وتحاول مجموعة من العناصر الثقافية أن تربط الاحلام بالنسق الدينى ، فالاحلام تستخدم على سبيل المثال كوسيلة للاتصال بالكائنات غير الطبيعية أو الحصول على القوة منها • فهناك مثلا اعتقاد شائع بأن الروح تتجول أثناء الحلم ، ويمكن أن تتقابل مع أرواح أخرى ، وهى مسئولة فى هذه الحالة عن الافعال التى تأتيها • وهناك بعض عناصر الثقافة التى تتعلق باستخدامات الاحلام فى النسق الاجتماعى • وذلك عندما ترتبط الاحلام بمكانات وأدوار معينة ، سواء كانت هذه المكانات والادوار رسمية أو كانت غير رسمية • وعلى سبيل المثال هناك مكانة مفسرى الاحلام ، كما أن أحلام الكاهن أو الشامان عادة ما يكون لها مكانة خاصة ، وهناك أيضا الادوار التى يجب أن يقوم بها الرائى اذا رأى حلما معينا • وهناك شيوع عالمى لظواهر ثقافية تتعلق بامكانية التنبؤ بالمستقبل من خلال الاحلام • وهناك فى النهاية مجموعة رئيسية من العناصر الثقافية تتضمن المعالجات العاطفية كرد فعل لخبرة الاحلام من خلال اجراءات طقوسية • ويفترض أن هذه الاجراءات الطقوسية سوف تبعد الاثار السيئة للحلم السيء ، وتساعد على تحقيق الاشياء الطيبة التى رآها الشخص فى الحلم • ومن هذه الاجراءات الا يخبر الفرد الاخرين بما رآه فى الحلم ، أو أن ينفذ ما أمر به فى الحلم ، أو أن يقدم ذبيحة •

وهذه العناصر ليست عناصر ثقافية خالصة ، فهى ذات علاقة وظيفية مع ظواهر أخرى مثل الظواهر الثقافية والاجتماعية ، وهى ترتبط بعلاقة وظيفية بالفرد أيضـــا • وقد احتوى التراث الانثروبولوجى على مناقشة لنوعين من هذه العلاقات وهى « أحلام البدائيين كنـــوع من العلاج النفسى » ، و « عملية القبول غير الواعى للدور الذى يضطلع به الفرد فى الحياة الاجتماعية » •

ويصبح قبول الدور دون وعى بمقتضى الحلم عنصرا فى النسق الاجتماعى عندما تستخدم الانماط الثقافية للاحلام فى تحديد الدور الذى سيضطلع به الفرد • فيمكن أن يفترض أن الرائى سيقوم بدور ما اذا رأى حلما معينا • وعلى سبيل المثال فان الشخص الذى يحلم بالقمر أو بجاموسة خنثى فى ثقافة السيو Sioux لابد وأن يصبح berdache ، أو أن الشخص لابد أن يرى حلما معينا حتى يؤهل للاضطلاع بدور ما ، مثلما هو الحال عند البوكابوكا Pukapuka ، فلكى يؤهل الشخص لان يصبح كاهنا عند هذه الجماعات لابد وأن يحلم بأنه اتصل بقوى غير طبيعية أثناء فترة التكريس •

وطالما أن الاحلام لا تخضع لضبط مباشر واع من الفرد ، فان استخدام الاحلام المعبرة عن النمط الثقافى السائد لهدف تحديد الدور الذى سيقوم به الفرد يؤدى الى تدخل عوامل « الاختيار غير الواعى » فى الحلم • فالشخص حديث السن الذى يجب أن يرى رؤية معينة وأن يستقبل الروح المساعدة قبل أن يضطلع بكل المسئوليات ، وقبل أن يحصل على كل امتيازات دور البالغ يمكن أن تكون له رغبة واعية فى أن يضطلع بدور البالغ ، ولكن اذا كان على مستوى أقل وعيا يشعر بأن استعداده لان يصبح رجلا لم يكتمل بعد فانه من المستحيل أن يرى الحلم الذى يجب أن يراه لكى يصبح بالغا وذلك بسبب الاضرار اللاشعورى بالذات unconscious sabotage وبسبب أن مضمون النمط الثقافى للحلم فى مثل هذه الاحوال يكون له طابعا سيكولوجيا ، ويرمز الى حل الصراع فيما يتعلق بالاعتماد على الاخرين • ومن جهة أخرى فان الفرد قد يجبر على اتيان فعل منحرف بسبب الحلم الذى رآه ، وفى هذه الحالة لانجد عامل اللاوعى يتحكم فى الافعال فقط ، ولكننا نجد أن الثقافة تقدم عذرا مقبولا لهذا الانحراف • وقد قرر أريكسون ما يأتى فى مناقشته للسيو Sioux :

« ان ثقافة متجانسة مثل ثقافة السيو تنظر الى الانحراف على أنه دور ثانوى (على سبيل المثال دور المهرج أو الشخص الفظ أو المرأه البغى ،

أو المخادع) ولكن دون أن تسمح بازالة الفزع والاشمئزاز المرتبط بهذه الادوار لكى تظل أغلبية المجتمع تشعر نفسيا بالمعانى المرتبطة بهذا الانحراف • ومع ذلك فان الفزع والاشمئزاز يوجه ضد القوى الروحية التى أقحمت نفسها فى الاحلام الانحرافية للفرد ، ولكنه لا يوجه الى الفرد نفسه • وفى ضوء ذلك تقبل الثقافة البدائية القوى المرتبطة باللاوعى • ويرى المتخصصون فى علم النفس المرضى أنه يجب أن نعجب بالمرونة التى تعالج بها هذه الانساق البدائية مسائل فشلت فى علاجها أنساقا أكثر تقدما »(٢١) •

ويمكننا أن نجد مثالا آخر لاستخدام الاحلام فى علاج المشكلات النفسية فى الطب النفسى عند البدائيين • فقد ناقش كل من ديفيرو Devereux سنة ١٩٥١ ، وكلتون ستيوارت Kilton Stewart ١٩٥١ ، وتوفيلمير Toffelmier وليومالا Luomala سنة ١٩٣٦ ، ووالاس Wallace سنة ١٩٥٨ هذه المسألة • وبصفة عامة فانه يبدو أن هذا العلاج يتكون من وجود ادراك ثقافى بأن الحلم يتضمن كشفا عن رغبات وصراعات مكبوتة ، ووجود طرق تصفها الثقافة لاشباع الرغبات والتخلص من الصراعات وتقدم الثقافات بصفة عامة طرق اشباع الرغبات متى تم الكشف عنها • وقد قدم أنتونى والاس مثالا رائعا لهذه الطريقة فى دراسته التى قدمها عن نظرية الاحلام عند شعب الايروكوا ، فقد ذكر ما يأتى :

« لقد حقق الايروكوا فى الواقع قدرا كبيرا من المعرفة النفسية • فقد تعرفوا على الاجزاء الواعية وغير الواعية فى العقل • وعرفوا مقدار الرغبات التى لا يعى بها الفرد وقوتها • وعرفوا أن الفشل فى تحقيق هذه الرغبات يؤدى الى المرض العقلى والعضوى « السيكوسوماتيك » •

---

(21) Erikson E.H; Childhood and Society; Norton 1950; p. 137.

وتوصلوا الى أن هذه الرغبات تظهر فى صور رمزية فى الاحلام • ولكن الفرد لا يمكنه تفسير هذه الاحلام بمفرده تفسيرا صحيحا • كذلك توصلوا الى التفرقة بين الجوانب المعلنة فى الحلم وبين المضمون الخفى • وقد استخدموا ما يمكن أن نطلق عليه الاساليب الحرة للكشف عن المعانى الكامنة ، وقد اعتبروا أن أفضل طريقة للتخلص من الامراض السيكولوجية والجسمية النفسية هى اشباع الرغبات التى لم يتم اشباعها سواء تم ذلك بطريقة مباشرة (فعلية) أو بطريقة رمزية »(٢٢) •

ويعالج الناس فى ثقافة السينوى Senoi الدوافع والرغبات التى تكشف عنها الاحلام بطريقة اجتماعية رائعة ، فاذا رأى شخص ما فى حلم أن شخصا آخر يهاجمه ، فانه سيحاول أن يحل الخلافات بينه وبين هذا الشخص عن طريق المناقشة معه أو عن طريق الوساطة(٢٣) • والنافاهو لا يستخدمون الاحلام للكشف عن الرغبات بل لتحديد الطقوس اللازمة لعلاج مرض من الامراض • فقد ذكر لينيكولن Lincoln أن طقوس الشفاء عند النافاهو التى توصف بناء على ما يتضمنه الحلم تحتوى على رموز تشبه الرموز التى تحتوى عليها الاحلام التشخيصية diagnostic dreams ، وأن فاعلية طقس شفائى تأتى بسبب انه يحل بطريقة رمزية صراع اللاوعى الذى يظهر فى الحلم • وعلى سبيل المثال فان :

« الاحلام بالموت ، موت الشخص أو موت الاقارب ، أو الحلم بأن سنة من أسنان الشخص قد سقطت يفترض استعادة الشخص لافراد الاسرة • ويفترض أن أحلام الموت هى الرغبة فى الموت • ويرمز فقدان الاسنان الى معنى القلق بسبب الخوف من الاخصاء لان الرغبة فى الموت

---

(22) Wallace; A; Dreams and wishes of the Soul : A type of Psychoanalytic theory among the seventeenth Century Iroquois; American Anthropologist; Vol. 60; 1958; pp. 237-8).

(23) Stewart K; (Dream theory in Malaya) Complex Vol. 6; 1951; pp. 12-33.

تعتبر رغبة منتشرة بين كثير من الناس (وهنا نجد مرة أخرى العلاقة بين فقدان السنة وموت الاقارب كما هو الحال فى النموذج العالى للاحلام) ، والفرد يدعم الاسرة أى يحميها من رغبات الموت التى يستشعرها بعض أفرادها تجاه الوالدين(٢٤) •

وقد افترض ستيوارت أنه يمكن تحقق العلاج النفسى اذا اعتبرت الاشكال الرمزية التى تظهر فى الحلم أخطارا موضوعية ، وعندما تتخذ الاحتياطات الجماعية فى صورة تعاونية من أجل درء هذه الاخطار الرمزية • وقد قدم لنا ستيوارت تقريرا واضحا عن طرق العلاج النفسى عند أقزام الفلبين •

ويتعاون جماعة من الأطباء الشعبيين Shamans لكى يصل المريض الى حالة الغشية فيستطيع أن يقابل الروح التى سببت له المرض ويتغلب عليها • وبعد ذلك تتحول هذه الروح التى كانت تهاجم المريض الى روح تعمل على مساعدته • ويرى ستيوارت أن هذه الطريقة تعتبر طريقة فعالة فى علاج الامراض العضوية المزمنة مثل تهيجات البشرة ، والصداع ، ونكسة الحمى ، تلك الامراض ذات الاصل النفسى العضوى • وفى هذا الشكل من العلاج اعتبر الصراع راجعا الى تأثير الارواح ، وكانت جهود الجماعة تهدف الى التغلب على الوجود الرمزى لهذه الارواح • وبالتغلب عليها فانها سوف تعمل من أجله • كما تهدف الطقوس العامة الى التغلب على حالة القلق السابقة(٢٥) •

وهناك أسلوب آخر من أساليب العلاج عن طريق الاحلام استخدمه هنود ديجينو Diegueno فى جنوب كاليفورنيا وهو يشبه العلاج النفسى

---

(24) Lincoln J.S; The Dream of Primitive Cultures; Cresset Press; 1935; p. 180.

(25) Stewart K. Pgymies and Dream Giants; Norton 1954.

الذى يتعبه البعض فى البلاد الغربية باستخدام الاحلام • فقد استخدمت هذه الطريقة لعلاج الافراد الذين ابتلوا بالخيال الجنسى الاستحواذى أو المفرط • وهناك شكلان معروفان لهذا المرض • الاول وهو الاقل خطورة ، ومن أعراضه أن الشخص المريض يحلم أحلاما كثيرة ويكون كسولا ويميل الى الانسحاب من المواقف الاجتماعية • والشكل الثانى للمرض يعتبر حالة متطورة للحالة الاولى ويعتبر مرضا نفسيا حقيقيا • ويصاب الشخص الذى يعانى من هذه الحالة بهلوسة دائمة تدور حول وجود روح تحبه ، وهذه الروح عبارة عن صقر يتخذ شكل انسان من نفس الجنس • ويسمى الاشخاص الذين يصابون بهذه الهلوسة « قرناء هذا الطائر »(٢٦) •

ولعلاج هذه الامراض يسأل الشامان المريض أن يحكى له عن أحلامه وعن حياته الجنسية ، ما يحدث بالفعل ، وما يتخيل أنه يحدث • ويبدأ الشامان أولا بأن يقرر أنه يعرف كل أحلام المريض ، ولهذا فلا جدوى من أن يحاول المريض اخفاء أى جزء من أحلامه • ويحاول الشامان أيضا تنويم الشخص مغناطيسيا لكى يشجعه على الكلام • ولكن لا يحدث ذلك فى الحالات المرضية الحادة التى لا تستجيب لهذا النوع من العلاج • أما بالنسبة لمناقشة المريض عن حياته الجنسية وتخيلاته المتعلقة بهذا الموضوع فان الشامان عادة ما يصف له فصد الدم وبعض أنواع الطعام المغذى •

أما بالنسبة لغير المتزوجين فانه عادة ما يطالبهم بالزواج ، وذلك لكى ينقل الشخص من حالة الاغراق فى الخيال الى موقف الحياة الواقعى • والاسلوب المتبع فى هذا العلاج يعتبر أسلوب غير عادى ، ذلك أن مناقشة المريض فى خيالاته وأحلامه لخلق نوع من الدفاع الطقوسى ضدها هو أسلوب مذهل ، ولهذا فان الشامان يختار فى هذه الثقافة بسبب ما يتميز به من اتزان الشخصية •

---

(26) Toffelmire G. and Lumala K; Dreams and dream interpretation of the Diegueno Indians of Southern California; Psychoanal. Q Vol. 2; 1936; pp. 195-225.

ولكى نلخص المادة التى تمت معالجتها فى هذا الجزء فان التمييز بين المضمون والبناء والوظيفة والعملية يمكن أن يمدنا باطار مفيد فى هذا الصدد(٢٧) • فالاستخدام الثقافى للاحلام يمكن أن يعتبر نوعا من المحتوى الثقافى ، وهو ذو علاقة بالجوانب البنائية والوظيفية والاجرائية للثقافة والمجتمع • ويمكن أن تؤثر الاحلام فى بناء المجتمع عندما تصبح موضوعا للأدوار الرسمية وغير الرسمية مثلما هو الحال فى حالة مفسر الحلم ، أو حينما يصبح الحلم مطلبا أساسيا للاضطلاع ببعض الادوار ، وعندما تتدخل عوامل اللاوعى فى عملية تحديد الادوار ، وعندما تقدم التبريرات لاختيار الادوار الانحرافية • وتقوم الاحلام أيضا بوظيفة هامة بالنسبة للفرد اذ تساعده على تحقيق التوازن النفسى ، وهى أيضا تستخدم كجزء أساسى من العلاج النفسى فى البلاد الغربية وغير الغربية أيضا

---

(27) Hsu F.K; Structure; function; Content and Process; American Antropologist; Vol. 61; 1959; pp. 790-805.

ثالثا ــ أوجه استخدام الاحلام والعلاقات بينها :

يهتم هذا الجزء بتقديم نتائج الدراسات المقارنة التى أجريت بهدف التعرف على الظروف التى تؤثر على الاستخدام الثقافى للاحلام • فسوف نحاول هنا أن نعرف لماذا تهتم بعض المجتمعات اهتماما مكثفا بالاحلام بينما لا تهتم بذلك غيرها من المجتمعات • ويمكن أن نستنتج من المادة المتوفرة من تاريخ دراسة الحالة فى التراث الاثنوجرافى أن قلق الانسان على مسألة العزلة (أى أن يعيش وحيدا) تؤدى الى انشغاله بالاحلام والخيال • واذا كان ذلك صحيحا فان المجتمعات التى يعانى أفرادها من القلق نتيجة الاحساس بالعزلة والاعتماد على النفس تميل الى أن تعطى أهمية كبرى للاحلام • ولهذا فسوف نحاول هنا أن نحدد الظروف الاجتماعية التى تؤدى الى حالة القلق عند الافراد ، وسوف يساعد ذلك أى دارس على أن يتعرف على درجة الاهتمام بالاحلام فى أى ثقافة من خلال هذه الظروف •

لقد قدم لنا الباحثون الميدانيون الذين تخصصوا فى دراسات الثقافة والشخصية بعض الامثلة التى توضح تأثير العزلة الاجتماعية وتأثير الادوار الثقافية التى تتطلب الاستقلال وتتطلب أفعالا يعتمد فيها الانسان على نفسه • وقد أعادت مارجريت ميد رواية قصة الطفل اليتيم الذى كان يعانى من العزلة وعدم الحب بالمقارنة بغيره من الاطفال الذين يعيشون فى جماعته • وذكرت أن هذا الطفل انشغل بالخيال وكان يظن أن هناك روحا حارسة وقد اتخذها أبا له(٢٨) • وهناك حالة مشابهة قدمتها دورثى ايجان Dorothy Eggan فى دراسة المواد الاسطورية فى الاحلام • فقد انطوى أحد الاخباريين ــ الذين زودوها بالمادة ــ على نفسه نتيجة احساسه

---

(28) Mead M; An investigation of the thought of Primitive Children with Special refrence to animism. J. Roy. Anthrop. Inst; Vol; 62; 1932; p. 183.

بالعزلة • وبدأ يسبح فى خيال يدور حول كائن طبيعى كان يساعده • وقد علقت دورثى على هذه الحالة بقولها :

« لقد أشـــارت بندكت الى أنه على الرغم من أن منطقة البوبيلو Pueblo كانت محاطة بروح حارسة تحمى أفراد المنطقة وتعطيهم القوة ، الا أن مفهوم الروح الحارسة لم يتم تقنينه فى جماعة البوبيلو بسبب أن الجماعة كان يسيطر عليها الاحساس بضرورة الطقوس الجماعية ، ومن ثم كانت الطقوس الجماعية تمثل اهتماما لدى الجماعة ككل ، ومن ثم لم يكن هناك اهتمام بالطقوس التى تتعلق بالخبرات الفردية(٢٩) • ولكن الفرد عند السام Sam يكون احساسه بالعزلة أقل حدة من حـــدة الواقع الذى يعيش فيه ــ بسبب مشكلاته الشخصية ــ على الرغم من أنه يؤمن بشدة « بالاتجاه الجماعى » • وبالتالى فقد استخدم مصطلح « الروح الحارسة أو المرشدة الذى يستخدمه الهوبى ، ليدل على الروح التى تأتى اليه بصفة دائمة فى الاحلام ، وتأخذه الى السحرة ، وتقوده الى الصـــيد الثمين ، وتعطيه القوة والحكمة والنصيحة ، وتحميه من المواقف الخطرة ، وأيضا تؤكد له أنه يسير فى الطريق الصحيح وأن أعـــداءه يســـيرون فى الطريق الخاطىء •

وقد انتهى والاس Wallace أيضـــا من دراســـته لنظرية شـــعب الايروكوا عن الاحلام الى أن القلق على الاستقلال يرتبط بهذا النوع من كثافة استخدام الاحلام • فقد ذكر ما يأتى :

« أن الذكر النموذجى عنـــد الايروكوا الذى عادة ما يكون شـــجاعا وكريما ونشطا ومستقلا فى حياته اليومية قد يتعلق على الرغم من ذلـــك ببعض الرغبات القوية ــ التى يمكن الا يكون على وعى بها ــ مما يجعله سلبيا ويدفعه الى الاستجداء أو الاهتمام بهذه الرغبات • ونظرا لان هذه

---

(٢٩) بندكت ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

الميول غير مسموح بها ، فانه حينما يحدث تهديد لاحساس الانسان بالاحترام الشخصى لنفسه يمكن ألا يظهر حتى فى الاحلام • وعندما يظهر فى الحلم فان الانسان يعيش هذه الخبرة كخبرة مؤلمة وغير محتملة من شدة العذاب • وقد ينظر الانسان اليها على انها مقابلة للكائنات غير الطبيعية التى تحمى الانسان • ولهذا فان شعب الايروكوا يفسر ذلك على أنه حلم فعال يتم عن طريق فعل سلبى • وتؤدى الترتيبات والطقوس التى تحدث فى الحلم الى ظهور فكرة اعتماد الانسان على غيره الى درجة كبيرة جدا • ولا يستطيع الرائى أن يسأل عن رغباته أو يطلب اشباعها • فهو يجب أن يقنع — مثله مثل الطفل — ببعض العلامات والرموز(٣٠) •

وتوضح هذه التقارير أن قلق الانسان بسبب العزلة يخلق الاحلام والخيال • وخاصة الخيال الخاص بالاتصال بمن يمدونه بالمساعدة بطريقة سحرية • ويفيد هذا الخيال الشخص فى أن يشعر وكأنه لايعيش فى موقف العزلة وانعدام المساعدة الذى يعيشه بالفعل ، ولهذا يسهم الخيال فى التخلص من القلق ولو بطريقة جزئية •

ولقياس درجة تغلغل الاحلام والانشغال بها فى أى ثقافة أختيرت بعض العناصر الثقافية المتعلقة بالاحلام من عينة مأخوذة من ٦٣ مجتمعا • وقد اختيرت هذه المجتمعات من واقع سجلات العلاقات الانسانية Human Relations Area وتم الاختيار على أساس أن أى مجتمع من هذه المجتمعات لابد وأن تكون فيه فقرة — على الاقل — قد دونت عن الاحلام ضمن التراث المدون عن ثقافة هذا المجتمع • وقد اختيرت المجتمعات أيضا من ثقافات متعددة ، ولم يتم اختيار أكثر من مجتمعين فقط من منطقة ثقافية واحدة • واستخدم فى هذا الاختيار العينة الاثنوجرافية العالمية لميردوك Murdock World Ethnographic Sample

(30) Wallace; op. cit; p. 247.

أما العناصر المتعلقة بالاحلام فهى :

(ا) تظهر الكائنات فوق الطبيعية فى الاحلام لتمد الافراد بالقوى المختلفة ، وبالمساعدة ، وبالطقوس ، وبالمعلومات .

(ب) يتوقع أن يستخدم القادة الدينيون (كالكهنة والشامانات) أحلامهم الخاصة فى أداء الادوار التى يضطلعون بها (مثل العلاج أو الكهانة) .

(جـ) يفترض أن يرى الشخص الاحلام النمطية التى تحدد الثقافة أنها شرط ضرورى قبل الاضطلاع ببعض الادوار فى المجتمع .

(د) هناك أحلام تتم عن طريق اتباع بعض الاساليب المتفق عليها مثل الصوم أو التخدير ، أو نوم الشخص منفردا ... الخ .

(هـ) هناك دور رسمى أو غير رسمى للشخص الذى يقوم بتفسير الاحلام .

(و) هناك بعض الطقوس التى يتعين على الانسان أن يؤديها اذا رأى أحلاما معينة (مثل تقديم أضحية ، أو الابتعاد عن الناس) .

(ز) هناك كائنات فوق طبيعية تظهر فى الاحلام لتؤذى الرائى أو لتنذر بأذيته .

وقد اختيرت هذه العناصر لانها عناصر شائعة شيوعا تاما ، كما أنها ليست عناصر نادرة الوجود ، ولكنها عناصر شائعة فى كثير من الاحلام . ويلاحظ أن هذه العناصر لا ترتبط ببعضها ارتباطا ضروريا . بمعنى أن وجود العنصر فى ثقافة معينة لا يتضمن بالضرورة وجود بقية العناصر . وقد وجد ان العناصر ا ، ب ، جـ ، د هى العناصر التى ترتبط ببعضها ارتباطا شديدا ، أما العناصر الثلاثة الباقية فقد اتضح أنها ترتبط ببعضها أو يرتبط كل منها بالعناصر الاربعة الاولى .

واذا كانت هـذه العناصر السـبعة ترتبط ببعضها ارتباطا داخليا ضروريا ، فقد كان ذلك أدعى لان نقول أن هناك عاملا عاما (مشـتركا) يرتبط بالاستغراق فى الاحلام • ولكن أثبتت الدراسات أن الاستغراق فى الاحلام يرتبط بعقدة تدور حول استخدام الاحـلام لضبط القوى غـير الطبيعية أكثر من ارتباطها بهذا العامل • ويرتبط العنصر ا ، ب ، د بضبط القوى فوق الطبيعية بطريقـة مباشرة ، أما العنصر جـ وهـو يتضمن تلك الاحلام النمطية التى يجب رؤيتها لتؤهل الشخص للقيام بدور ما ــ فهو يتصل بطلب المساعدة من هذه القوى الخفية ولكن بطريقة غير مباشرة • ويفترض أن مثل هذه الاحلام تتضمن زيارة الساحر المساعد الذى ينصح الشخص القلق أو الشخص الذى سيصبح كاهنا باتباع بعض الاساليب المتعلقة بالكائنات فوق الطبيعية • أما العناصر الاخرى التى تتضمن تفسير الحلم ، وأداء بعض الطقـوس ، والأضرار التى يمكن أن تضر بها هـذه القوى الانسان فهى غير داخلة هنا • وعلى ذلك لم تستخدم لقياس هـذا النوع من الاستغراق فى الاحلام •

وفى ضوء هذه النتائج يكون الغرض الاساسى قد تعدل بحيث تصبح القضية أن قلق الشخص على وحدته وحيـاته المنفردة يؤدى الى ظهـور الاحلام التى تعمل على ضبط القوى فوق الطبيعية • وقد تم قياس مدى استخدام الاحلام لهذا الغرض عن طريق التعرف على العناصر ا ، ب ، جـ ، د وقد تقرر وجودها فى كل مجتمع • وتقرر وجود متوسط هذه العناصر بطريقة متكافئة فى العينة الثقافية المقارنة • أما المجتمعات التى اتضح انها لا تضم أيا من هذه العناصر الاربعة فقد صنفت تحت المتوسط واعتبرت أنها منخفضة فى درجة استخدامها للاحـلام فى البحث عن القـوى فوق الطبيعية وضبطها • أما المجتمعـات التى احتوت على عنصر أو أكثـر من العناصر سابقة الذكر فقـد اعتبرت فى درجة أعلى من حيث اسـتخدامها للاحلام فى هذا الغرض •

وقد نظر الى الحالة الاولى على أنها قلق بخصوص العزلة يتسبب

عن محل الاقامة وقت الزواج • فاذا كان الابن أو الابنة ينتقل من بيت الوالدين بمجرد الزواج ، فان ما يشعر به من خسارة وفقدان لدعم الوالدين له يمكن أن يؤدى الى ظهور القلق بسبب الاحساس بالعزلة • ولاختبار هذا الغرض تم تقدير المسافات بين بيت الزوجية الجديد وبين بيت الوالدين من واقع الدراسة المقارنة لمحل الاقامة التى قام بها ويتنج Whiting وأندريد D'Andrade عام ١٩٥٩ • ويوضح الجدول رقم ١، العلاقة بين المسافات الفعلية (بين محل الاقامة بعد الزواج وبين بيت الوالدين) وبين استخدام الاحلام للالتجاء الى القوى فوق الطبيعية والتحكم فيها • وتوضح بيانات هذا الجدول أنه كلما بعدت مسافة سكنى الابن بعد الزواج عن محل اقامة الوالدين كلما زاد الالتجاء الى القوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها • وقد كانت درجة الارتباط عالية ، وذات دلالة عند مستوى ٠١ر٠٠ ولكن لم يتم اعداد جدول يوضح العلاقة بين محل سكنى الابنة وبيت والديها وبين استخدام القوى فوق الطبيعية فى الاحلام لانه اتضح أنه ليست هناك علاقة بين المقياسين ، فقد اتضح أن القلق الذى تعانى منه الابنة لا يؤثر على مثل هذه الاحلام • وربما يرجع ذلك الى أن الدين هو عمل يعزى للرجل وليس للمرأة ، أو يرجع الى أن المرأة تلتجىء الى زوجها وتحتمى به لتتخلص من حالة القلق التى تعتريها بسبب تركها لبيت والديها الامر الذى لا يحدث بالنسبة للرجال •

وقد استخدمت تصنيفات ميردوك لمحل الاقامة والاسرة لاختبار هذه النتائج • واتضح من هذه النتائج أنه لا توجد مجتمعات أبوية تزداد فيها نسبة الالتجاء الى القوى فوق الطبيعية لضبطها • وأن الاسرة المستقلة تستخدم هذه الاحلام أكثر مما تستخدمها الاسر الممتدة • وقد كان لهاتين الحالتين أهمية فيما يتعلق باتجاه التنبؤ ، كما كانت لهما أهمية احصائية عندما نظر اليهما معا •

أما المصدر الثانى الذى يفترض أنه يؤدى الى القلق فهو يتعلق بالموارد الاقتصادية • وقد ناقش كل من بارى Barry وتشايلد Child

وباكون Bacon علاقة الموارد الاقتصادية بأدوار البالغين الذين يتوقع أن يحققوا نوعا من الاستقلال وأن يعتمد كل منهم على نفسه فى دراسة أجروها عن الاقتصاد وطرق تربية الطفل فى سنة ١٩٥٩ • وقد وجدوا أن طرق تربية الطفل التى تؤكد على الاستقلال والاعتماد على النفس والانجاز توجد فى مجتمعات الصيد البرى والصيد البحرى ، بينما ترتبط طرق التربية التى تؤكد على الخضوع والمسئولية والطبيعية بالمجتمعات الزراعية والمجتمعات التى تهتم بتربية الحيوانات الداجنة • وتقع المجتمعات الزراعية التى لا تهتم بالحيوانات الداجنة بين هذين النمطين •

أما عن الترابط بين شكل لاقتصاد وبين مقياس تربية الطفل الذى يجمع بين « الضغط بهدف تحقيق الاذعان أو الخضوع » (ويتكون من درجات تتعلق بالتدريب على الخضوع والمسئولية والطبيعية) ، فى مقابل « الضغط بهدف تحقيق اثبات الذات » (ويتكون من درجات خاصة بالتدريب على الاستقلال ، والاعتماد على النفس والانجاز) فقد وصل معامل الارتباط بينهما الى + ٩٤ر• و + ٩٣ر• وذلك عند اجراء المقارنات المتطرفة والوسيطة(٣١) • وتدل هذه الدرجات على درجة عالية من الارتباط • ويعتقد أن هذا الارتباط العالى يرجع الى الملاءمة الوظيفية بين طرق تربية الطفل وبين نوعية الادوار المطلوبة من البالغين لكى يستطيعوا القيام بانتاج الطعام أو الحصول عليه • ذلك أن المجتمعات التى تسود فيها الزراعة والاهتمام بتربية الحيوانات الداجنة يمكن أن تؤكد على تمكن أفرادها من امداد الاسرة بالطعام فى المستقبل عن طريق الاخلاص والامانة فى تنفيذ الروتين ، ولهذا فهم يدربون الطفل على أن يكون مطيعا خاضعا ومسئولا أيضا ، أما فى مجتمعات الصيد البرى والبحرى فان خبرات الفرد ومهاراته تتكيف مع نوع التربية التى تؤكد على الاستقلال والاعتماد على النفس(٣٢) •

---

(31) Barry H; Child I.L; Bacon M; Relation of Child training to Subsistance economy; American Anthropologist; Vol. 16; 1959; p. 59.

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

جدول رقم ١

العلاقة بين المسافة النموذجية التى تفصل بين بيت الابن المتزوج وبين بيت والديه وبين استخدام الاحـلام فى الاتصـال بالقـوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها .

الابناء الذين يقيمون فى بيت الوالدين	ابناء يقيمون فى نفس القرية او المنطقة المحلية	ابناء يقيمون فى قرية اخرى او منطقة محلية اخرى
		كرو (ا ، ب ، ج ، د)
		اروكويز (ا ، ب ، ج ، د)
		جيفارو (ا ، ب ، ج ، د)
		ناسكابى (ا ، ب ، ج ، د)
		اوجيبوا (ا ، ب ، ج ، د)
		بايوت (ا ، ب ، ج ، د)
	كومانش (ا ، ب ، ج ، د)	الاندمان (ا ، ب ، ج)
	سيمانج (ا ، ب ، ج ، د)	كوبراسكو (ا ، ب ، ج)
	بوكابوكا (ا ، ب ، ج)	جونا (ا ، ب ، ج)
	شوكشى (ا ، ب)	كاسكا (ا ، ب ، ج)
	زوالا (ب ، د)	لابس (ا ، ب)
	اروكانيانز (ب)	ياروروو (ب ، د)
	ازاند (د)	بمبا (ب)
اباجو (ا ، ب ، ج ، د)	نانج (ا)	موندراسو (ا)
كابوكو (ا ، ب)	باكوزا (ب)	تروبيريانذز (ج)
فواجو (ج)	ولوف (ب)	باكوت (د)

بهيل (—)	اشانتى	بورميزى (—)
ايبان (—)	ايمارا	كالينـاجو (—)
ليبشا (—)	ايفالوك	جاندا (—)
ماتاكو (—)	كورتاتشى	كارين (—)
ناما (—)	ماركويساس	
ساموا (—)	مينشيا	
سيريونو (—)	موسى	
توبى نامبا (—)	ريفيانز	
	سومالى (—)	
	تالينزى (—)	
	تانالا (—)	
	ثاى (—)	
	تيف (—)	
	توباتولابال (—)	
	يوروبا (—)	

ملاحظة : كان الاساس الذى صنفت بناء عليه كل مجموعة من المجتمعات السابقة فى عامود مستقل هو المسافة بين منزل الابن المتزوج وبين منزل والديه، ومدى كثافة استخدام الاحلام كوسيلة للاتصال بالقوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها . وتمثل الحروف المكتوبة امام كل مجتمع السمات التى توجد بالفعل فى هذه المجتمع .

ومن المتوقع اذن أن تستخدم مجتمعات الصيد البرى والبحرى الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها ، بينما نجد أن المجتمعات الزراعية ومجتمعات تربية الحيوانات الداجنة أقل احتمالا لاستخدام الاحلام بنفس الطريقة • بينما نجد أن المجتمعات التى يسود فيها اما الزراعة أو الاهتمام بالحيوانات الداجنة (ولكن ليس كلاهما) سوف تقع بين هذين الطرفين(٣٣) وقد أمكن التنبؤ بالنتيجة لسببين • السبب الاول هو أنه طبقا لآراء بارى وزملائه فان مجتمعات الصيد البرى والبحرى تضغط ضغطا كبيرا على الشخص البالغ لكى يصبح مستقلا ومعتمدا على ذاته • والثانى أن مجتمعات الصيد البرى والبحرى تؤكد تأكيدا كبيرا نسبيا أيضا على الطفل لكى يكون مستقلا ومعتمدا على ذاته •

ويوضح الجدول رقم ٢ العلاقة بين نوع الاقتصاد وبين استخدام الاحلام للالتجاء الى القوى فوق الطبيعية وضبطها • وقد اقتبست نسب الاقتصاد من ميردوك(٣٤) •

وتوضح النتائج وجود علاقة قوية وشديدة الوضوح بين نوع الاقتصاد وبين استخدام الاحلام ، وذلك أن ٨٠٪ تقريبا من مجتمعات الصيد البرى والبحرى تستخدم الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية

---

(٣٣) من الواضح أن بارى وتشايلد وباكون عندما جمعوا بين مجتمعات الرعى المتنقلة وبين المجتمعات التى تجمع بين الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة فانهم اعتبروا أن استخدام الحيوانات يعتبر محددا أساسيا لتراكم مصادر الطعام . ومع ذلك فمن المتوقع أن يحقق الجمع بين الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة ناتجا عاليا ومستقرا من الغذاء أكثر مما يحقق الاعتماد على الزراعة وحدها أو الاعتماد على تربية الحيوانات وحدها . ولهذا السبب فقدتم تعديل تجميع هذه الفئات التى قام بارى وزملاؤه بتصنيفها ، وقد وضعت المجتمعات التى تمارس تربية الحيوانات الداجنة دون الزراعة فى موقع متوسط بين جماعات الصيد البرى وجماعات الصيد البحرى .

(34) Murdock G.P; (World ethnographic Sample); American Anthropologist; Vol. 59; 1957; pp. 661-87.

ولضبطها ، بينما نجد أن ٢٠٪ فقط من المجتمعات التى تمارس الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة تستخدم الاحلام لنفس الهدف • أما المجتمعات التى تقع فى الوسط وهى التى يسود فيها اما الزراعة واما تربية الحيوانات الداجنة فانها تقع فى وسط هذين الطرفين ذلك أنه وجد أن ٦٠٪ من هذه المجتمعات يستخدم الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية وضبطها •

ومن سوء الحظ أننا لا يمكن أن نعرف ما اذا كان هذا الارتباط يرجع الى تأثير تربية الطفل ، أو يرجع الى ضغوط الدور على البالغين • وهناك اختبار مستقل استخدم فيه مقياس تربية الطفل التى تهدف الى الضغط على الطفل من أجل الخضوع فى مقابل تأكيد الذات ، وكانت نتائج تطبيق الاختبار تؤكد وجود ارتباط أساسى بين تأكيد الذات وبين استخدام الاحلام بكثرة • ومع ذلك فان محاولة التعرف على تأثير الاقتصاد قد أدت الى التقليل الشديد من هذا الارتباط على الرغم من عدم التمكن من الوصول الى نتائج مضبوطة بسبب وجود تداخل شديد بين الممارسات الاقتصادية وبين ممارسات تربية الطفل • ولم توضح المحاولات التى قام بها ويتنج وتشايلد وجود ارتباط بين هذه الحالات وبين استخدام الاحلام بطريقة مكثفة للاتصال بالقوى غير الطبيعية أو محاولة التحكم فيها •

وعلى الرغم من أن الظروف الاقتصادية ترتبط بالمسافة النموذجية التى تفصل بين بيت الاب وبيت الابن بعد الزواج ، وتلك التى يقطعها الابن فى حالة رحيله من أجل الصيد البرى أو البحرى ، فاننا نجد لهاتين الحالتين تأثيرات مستقلة واضحة • أما فى المجتمعات الزراعية فكلما بعدت المسافة بين منزل الابن المتزوج ومنزل والديه كلما ازداد استخدام الاحلام فى الاتصال بالقوى فوق الطبيعية والتحكم فيها • وتوجد نفس العلاقة فى مجتمعات الصيد البحرى والبرى ومجتمعات الرعى •

وتؤيد نتائج الدراسات الثقافية المقارنة بصفة عامة الفكرة القائلة بأن القلق المتعلق باحساس الانسان بالعزلة واعتماده على ذاته يمكن أن يخلق

جدول رقم ٢ علاقة النمط الاقتصادى باستخدام الاحلام للالتجاء الى القوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها والتحكم فيها .

مجتمعات الصيد البرى والبحرى ومجتمعات تربية الحيوانات الداجنة	مجتمعات زراعية ولا تسود فيها تربية الحيوانات الداجنة	مجتمعات زراعية ويسود فيها نمط تربية الحيوانات الداجنة :
(دون الزراعة)		
كومانسى (ا ، ب ، ج ، د)		
كرو (ا ، ب ، ج ، د)		
ناسكابى (ا ، ب ، ج ، د)		
اوجيبوا (ا ، ب ، ج ، د)		
اوماها (ا ، ب ، ج ، د)		
بايوت (ا ، ب ، ج ، د)		
سيمانج (ا ، ب ، ج ، د)		
الاندمان (ا ، ب ، ج)		
كوبراسيمو (ا ، ب ، ج)	ايروكوا (ا ، ب ، ج ، د)	
كاسكا (ا ، ب ، ج)	جيفارو (ا ، ب ، ج ، د)	
بوكابوكا (ا ، ب ، ج)	باباجو (ا ، ب ، ج ، د)	
شوكشى* (ا ، ب)	جونا (ا ، ب ، ج)	
لابس* (ا ، ب)	كاريب (ا ، ب)	
روالا* (ب ، د)	ازاند (د)	
ويشرام (ا ، د)	بمبا (ب)	شاجا (ا ، ب)
ياورو (ب ، د)	فانج (ا)	كابوكو (ا ، ب)
ساينجاج (د)	ايفوجاو (ج)	اروكانيانز (ب)
تليت (ب)	موندوروسو (ا)	نياكوزا (ب)
ياكوت (ا)	تروبيرياندز (ج)	ولوف (ب)

كالیناجو (—)	أشانتی (—)	ایمارا (—)
ماتاکو (—)	ایفالوك (—)	بهیل (—)
ناما* (—)	کورتاتشی (—)	بورمیز (—)
سیریونو (—)	مارکیزار (—)	جاندا (—)
سومالی* (—)	ساموا (—)	ایبان (—)
توباتولابال (—)	سوبانوم (—)	کارین (—)
	نوبی نابا (—)	لیبشا (—)
	یوروبا (—)	مینشیا (—)
		موسی (—)
		ریفیانز (—)
		تالینزی (—)
		تانالا (—)
		ثابی (—)
		ثونجار (—)
		تیف (—)

* مجتمعات تمارس تربیة الحیوانات الداجنة .

ملاحظة : کان الاساس الذی صنفت بناء علیه کل مجموعة من المجتمعات السابقة فی عامود مستقل هو الاقتصاد وعلاقته بتدرج کثافة استخدام الاحلام کوسیلة للاتصال بالقوی غیر الطبیعیة ومحاولة ضبطها والتحکم فیها . وتمثل الحروف المکتوبة امام کل مجتمع السمات التي توجد بالفعل في هذه المجتمعات .

نوعا من الخيال يدور حول القوى السحرية التى تساعد الانسان • ويبدو أن كلا الخيال أو الاحلام قد استخدما كوسائل للاتصال بالقوى فوق الطبيعية أكثر مما استخدمت الطقوس • وقد لجأ الفرد لاشخاص يساعدونه مفضلا ذلك على استخدام قوى مجهولة • وقد اتضح أن نوع الاقتصاد ودرجة العزلة التى تترتب على المسافة بين بيت الابن المتزوج وبيت والديه تؤثر فى هذا الموضوع تأثيرا قويا، فقد اتضح أنه فى مجتمعات الصيد البرى والبحرى ، وفى المجتمعات التى يبتعد فيها مكان اقامة الابن عن منزل والديه ينتشر استخدام الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية والتحكم فيها • وازاء ضعف الارتباط بين هذه الظاهرة وبين طرق تربية الطفل ، وبسبب التقارير التى تؤكد على عدم وجود علاقة بين نفس الظاهرة وبين عزلة الابنة عن منزل والديها يمكن أن يساورنا الشك فى أن عاملا وسيطا يحدث هذا التأثير وهو ما يحدث للأطفال أكثر من الكبار وللرجال أكثر من النساء(٣٥) •

ويمكننا بعد ذلك أن نقدم تلخيصا للمناقشات السابقة يتعلق بعلاقة الاحلام بالشخصية وبالثقافة :

١ — هناك علاقة قوية بين الاحلام وبين الكائنات فوق الطبيعية ، وتتكون هذه العلاقة من التشابه بين صور الاحلام وبين المفاهيم المتعلقة بالامور غير الطبيعية ، ومن استخدام الاحلام بهدف رؤية الكائنات فوق الطبيعية والاتصال بها • ولا توضح هذه العلاقة بالضرورة أن الاحلام قد

---

(٣٥) هناك بعض الادلة التى تثبت ظروف الطفولة المبكرة بما تتضمنه من عمليات توحد تجعل الطفل يعجب بوالده (أو تعجب والدها) أو والدته (أو والدتها) من نفس الجنس تؤثر أيضا على استخدام الاحلام . فمن المعتقد أن التوحد الشديد مع أحد الابوين من نفس الجنس يؤدى الى الاغراق فى تخيل أن الاب أو الام (من نفس الجنس) يمكن أن تصبح كالروح الحارسة . ويستخدم الطفل فى هذه الحالة الخيال أكثر من استخدامه الطقوس للتخلص من حالة القلق . ولكن هذه الصياغة مازالت فى الوقت الحاضر موضع جدال وتحتاج الى مزيد من البحث والدراسة .

أدت الى ظهور مفاهيم الظواهر فوق الطبيعية فى الماضى البعيد ، ولكنها يمكن أن توضح أن نفس الميكانزمات الثقافية تكمن وراء الظاهرتين •

٢ — هناك بعض الادلة التى تؤيد فكرة أن الرمزية فى الاحلام هى ظاهرة انسانية عالمية • واذا كان ذلك صحيحا فانه يعنى أن الانسان يكون مجموعة من الكيانات أو المعادلات بطريقة فطرية أو نتيجة للخبرة التى مر بها بدون أى تعليم ثقافى ، وبدون وعى منه ، وأن هذه المعادلات والمقارنات تستخدم على الدوام •

٣ — ويفترض أنه يمكن استخدام الاحلام لكى تكشف عن دوافع الرائى • وأكثر من ذلك أن العلاقة بين محتوى الحلم وهذه الدوافع يمكن أن تكون غير مباشرة أو مخبأة • وأهم هذه الدوافع هو ما يتضمن الحصول على الاشباع الفيزيقى من أعضاء الاسرة النووية • ويمكن أن توجد هذه الدوافع فى أحلام الناس فى كل المجتمعات • ومع ذلك تختلف الصور التى تظهر فيها هذه الدوافع أو التى تشبع بها من ثقافة الى أخرى •

٤ — ومن المفترض أيضا أن الاحلام تتضمن جوانب معرفية تماما كما تتضمن جوانب دافعية • ولهذا فان جوانب حياة الشخص أثناء اليقظة وثقافته يمكن أن تظهر فى الحلم ، ومع ذلك فظهور هذه الجوانب الواقعية فى الحلم عادة ما تكون محرفة أو مشوهة ، وأحيانا يكون هـذا التحريف معتدلا يتضمن تغييرات بسيطة فى المادة الاساسية الموجودة فى الواقع أو يتضمن اختيارات متحيزة • وفى أحيان أخرى يكون التحريف أو التشويه حاسما بحيث يتضمن تغييرا كاملا للخبرة الواقعية ويرجع هذا التشويه الى ضغط الدوافع ، وخاصة عندما يكون هناك صراع بين هذه الدوافع •

٥ — ويمكن أن تحدد الثقافة أيضا المحتوى الملائم للحلم فى ظروف معينة • فحينما يفترض أن الفرد لابد أن يرى حلما معينا ، فان اعادة سرد الحلم يمكن أن يتضمن بعض التعديلات المتأثرة بالفكرة السائدة فى الثقافة عن هذا الحلم • ويمكن أن يؤدى الاتصال الثقافى الى جلب مادة أجنبية الى

هذه الاحلام ، أو أن يتغير نمط الحلم تماما • ويمكن أن يتأثر رد الفعل العاطفى تجاه الحلم بما تحدده الثقافة كعناصر يجب أن يتضمنها الحلم ، وبالتالى فان التعريف الثقافى للذات يمكن أن يتأثر بما يراه الرائى فى الحلم •

٦ — هناك استخدامات ثقافية متعددة للاحلام • ويعتبر التنبؤ بالمستقبل والاتصال بالقوى فوق الطبيعية هى أهم هذه الاستخدامات • وتستخدم الاحلام أيضا فى العلاج النفسى وكوسيلة لاختيار الافراد للقيام بأدوار معينة أو لرفضهم • وهناك استخدام خاص للأحلام وهو استخدامها فى الاتصال بالقوى فوق الطبيعية ومحاولة التحكم فيها ويرجح أن هذا الاستخدام نشأ بسبب الاحساس بالقلق نتيجة شعور الانسان بالعزلة والحاجة لان يكون قادرا على الاعتماد على نفسه • وفى المجتمعات التى يتطلب اقتصادها أن يعتمد الشخص على نفسه فى سلوكه (بالنسبة للرجال) — مثلما هو الحال فى مجتمعات الصيد وفى المجتمعات التى يسكن فيها الشخص بعد زواجه بعيدا عن بيت والديه الى قرية أخرى فهو يكون أكثر قابلية لاستخدام الاحلام فى الالتجاء الى القوى فوق الطبيعية والتحكم فيها •